

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُبْتِ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ [النحل].

فهل ادعى أحد لنفسه أنه هو الذي يخرج لنا مختلف أنواع الثمار؟. الحقيقة أن أحداً لم ولن يجرؤ على ذلك.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجِينَ اثْنينِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد].

ونكرر: من ذا الذي يدعى لنفسه هذا. إن كل هذه المخلوقات من أرض وجبال وأنهار وثمرات كلها تشير إلى السماء وتقول لا فاعل ولا خالق إلا الله. ولنا أن نسائل: ماذا لو أن الله لم يخلق لنا من كل الثمرات زوجين اثنين؟. ماذا لو كانت الثمار كلها مذكرة مثلاً؟. وهنا نجد أن الآية الكريمة تتضمن حقيقة علمية لم تُعرف لنا إلا عن طريق العلماء في السنوات الأخيرة، وهي أن كل الأحياء وفيها النبات تتألف من ذكر وأنثى. والنباتات كان مظهرًا أن ليس لها من جنسها ذكور، ولكن القرآن يلفت النظر إلى أنها هي أيضا ذكر وأنثى، فسبحان الله<sup>(١)</sup>.

ويوجهنا القرآن الكريم إلى المطلوب منا قبل أن نتناول الثمرة لنأكلها. لقد أوجد الله سبحانه الثمر من أجل الإنسان وطعامه وهذا حق. ولكن قبل أن يتناول الإنسان الثمرة ويضعها في فمه عليه أن يقوم بعمل أهم من الطعام، هذا العمل هو النظر والتأمل في قدرة الله سبحانه وتعالى، وكيف أخرج لنا هذه الثمار من التراب والطين؟. وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام].

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الرابع ص ٢٠٤٦ تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثالث ص ٤٥٦. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلي، الجزء الثاني ص ٢٧٦. تفسير الفخر الرازي للرازي، الجزء التاسع عشر ص ١٠. تفسير المراغي للمراغي، المجلد الخامس ص ٦٦.

